"دراسة موضوعية لسورة البقرة "



أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين؛ أكرمنا بخير كتاب أنزل، وخصنا بخير نبي أرسل، وأتم علينا النعمة بأكمل دين شرع: قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3]

وأزكى صلوات الله وتسليماته على معلم الناس خير، وهادي البشرية إلى الرشد، رحمة الله للعالمين، وحجته على الناس أجمعين.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن سار على دربه وتمسك بهديه وسنته إلى يوم الدين.

اللهم تقبل صيامنا وقيامنا وركوعنا ودعائنا وسجودنا يا رب العالمين.

اللهم اكتبنا من عتقاء شهر رمضان، واكتبنا من المقبولين الفائزين، اللهم آمين.

أيها الإخوة، أيتها الأخوات؛ شهر رمضان هو شهر القرآن؛ عظم الله سبحانه

وتعالى وكرم شهر رمضان بأن أنزل القرآن فيه:

قال تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ [البقرة: 185]

وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القدر: 1]

وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان: 3].

أكبر تعظيم لشهر رمضان ليس فقط أن نصوم فيه، وإنما أن نتدارس القرآن الكريم فيه، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتدارس القرآن مع سيدنا جبريل في شهر رمضان، وفرق كبير جداً بين التلاوة وبين المدارسة:

- التلاوة أن تقرأ وأن تختم.
- والمدارسة أن تتدبر، تفهم، تتأمل، حتى تنطلق من الفهم إلى العمل.

منهج التغيير النبوي:

إن النبي صلى الله عليه وسلم أحدث تغيير هائلاً في البشرية، والتغيير الذي أحدثه النبي صلى الله عليه وسلم في البيئة التي بعث فيها والتحولات التي أحدثها في البيئة التي بعث فيها أحدثت تحولات غير عادية.

ولذلك الذي كتب «العظماء أو الخالدون مئة» (وأعظمهم محمد صلى الله عليه وسلم) هو كاتب غير مسلم، وضع معايير لتعظيم هؤلاء العظماء.

المعيار المهم الذي وضعه هو حجم الإنجاز وحجم التغيير الذي أحدثه كل مصلح أو كل عظيم من هؤلاء العظماء، فلم يجد مصلحاً أو عظيما أحدث تغييراً مثل محمد صلى الله عليه وسلم، فجعله هو أعظمهم على الإطلاق.

كيف أحدث النبي صلى الله عليه وسلم هذا التغيير؟ ما هو منهاج التغيير الذي غير به النبي صلى الله عليه وسلم في هذا المجتمع؟

أن القرآن الكريم الذي أنزل من عند الله تبارك وتعالى على نبينا صلى الله عليه وسلم.

واقع الأمة اليوم وحاجة الإصلاح:

الأمة اليوم في ذيل الأمم، هذا إذا وجدت لها مكاناً في الذيل على كل المستويات، وحال الأمة وواقعها لا يعكس أبداً رسالة الإسلام، لا شرقاً ولا غرباً.

إذاً، هي بحاجة إلى إصلاح، وبحاجة إلى تغيير.

فكيف يمكن أن نحدث هذا التغيير وهذا الإصلاح؟

التغيير والاصلاح بمنهج التغيير والإصلاح هو القرآن؛ لماذا؟ والقرآن بين أيدينا؟ ومع ذلك نحن عاجزون عن الانتفاع به، والاستفادة بهداياته؟

الجواب: لأننا لم نحسن التعامل معه.

إذاً، المنهج موجود لكننا لا نحسن التعاطي أو التعامل معه.

وأود أن أشير إلى نقطة مهمة هنا، لأنها صارت شائعة جداً في خطاباتنا وفي أديباتنا ـ خاصة على مواقع التواصل الاجتماعي ـ وأنا شخصياً أفعل هذا، ولكن يجب أن يفهم هذا في سياق معين؛ يحصل لوم ومعاتبه شديدة للناس أنهم يقرؤون القرآن كثيراً ويعددون الختمات، وأن هذا ليس المنهج الصحيح في التعامل مع القرآن، وإنما يجب أن نركز أكثر على التدبر.

هذا الكلام صحيح، ولكن يجب أن ننتبه إلى الخطر الذي يمكن أن ينتج عنه من جهة أخرى، وهي أن أحدهم لا يستطيع أن يتدبر القرآن فيصد عن التلاوة بسبب هذا!

كلا؛ الذي يقرأ القرآن بغير تدبر خير من الذي لا يقرأ أصلاً.

والذي يصوم بغير وقوف على معاني الصيام نقول إن الصيام ليس فقط الإمساك عن شهوتي البطن والفرج، وإنما يجب أن يكون إمساك عن المعاصي والذنوب، لنفرض أن هناك من يعجزعن الصيام الحقيقي (صيام الخصوص أو خصوص الخصوص كما قال أبو حامد الغزالي)، فنقول له: لا تصم؟! بالطبع لا.

إذاً، نحن نحتاج أن نوازن في هذا الخطاب، يجب أن نقرأ القرآن كثيراً ونجمع بين القراءة التي نبحث فيها عن الأجر الكامن وراء كل حرف من أحرف القرآن:

(لا أقول الم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف)، وبالتالي لا مانع أبدا أن تتعدد الختمات فإذا استطعت أن تختم في رمضان خمس مرات، أوعشر مرات، اختم بسم الله ، حتى لو كنت لا تعقل؛ اقرأ واقرأ كثيراً ، وفي الصلاة حتى لو كنت لا تعقل؛ لأن التدبر ومعايشة القرآن والتأثر بالقران هو مرحلة تأتي بعد التشبع اللساني.

لكي تفتح القرآن لتتدبر وتنكشف لك المعاني؛ لن يحصل هذا إلا بعد أن تعطي القرآن وقتاً طويلا من المعايشة والقراءة، تماماً مثل الذكر؛ هل كل مسلم يذكر ربنا سبحانه وتعالى خالياً تفيض عيناه؟

كما في الحديث: (ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه) [متفق عليه]

هذه مرحلة متقدمة جداً تحتاج إلى مراحل تسبقها؟

مراحل يحترق فيها القلب ويعيش مع ذكر الله تبارك وتعالى حتى يصل إلى أنه إذا ذكر الله تعالى خالياً فاضت عيناه، ونفس الشيء بالنسبة للقرآن، ولذلك يعجبني جداً هذا التوازن.

كيف نصل لهذا التوازن؟

استمر في وردك كما أنت؛ وفي التلاوة اقرأ واقرأ كثيراً، اقرأ جزء، جزئين، ثلاثة، أطلق لنفسك العنان وأنت مع كتاب الله عز وجل، لا تقيد نفسك (أنا اليوم أقرأ جزء فقط) فأنت مقيد لنفسك، (اقرأ صفحه، سورة، ثلاثة أرباع بعد الصلاة) لا

تقيد نفسك مع القرآن، أطلق لروحك ولنفسك العنان مع القرآن، ولكن الذي يجب أن تركز عليه مع هذه التلاوة الكثيرة والختمات الطويلة في رمضان أن تكون لك وقفة.

فإذا كنت من أهل الصبر على القرآن، يكون عندك ختمة خاصة بالتدبر، لكن نحن همومنا ضعيفة وأحوالنا صعبة، فلن أقل لك ختمه تدبرية، لا، سوف أقل لك أن يكون لك آية تدبرية؛ اختر آية من الجزء وتخيل أن الله تعالى يخاطبك أنت بهذه الآية، وحاول تعيش مع هذه الآية إلى اليوم التالي من تلاوة الورد القرآني.

إذاً، نحن بحاجة إلى معايشه القرآن في شهر القرآن.

مفتاح السور والقراءة الموضوعية للقرآن

درس الآن هو محاولة لإعطاء منهج مختلف في تدبر القرآن ونرجو أن تكون نموذجاً هادياً للتعامل مع بقية سور القرآن الكريم الأخرى، وهو مفتاح السور أو القراءة الموضوعية لسور القرآن.

ما المقصود بالقراءة الموضوعية لسور القرآن؟

أقول لك إن كل سورة من سور القرآن لها مفتاح، هذا المفتاح هو اسم السورة وكلمة داخل السورة، ثم كل آية من آيات هذه السورة لها ارتباط وصلة بموضوع السورة، وهذا فتح مهم جداً في القرآن الكريم ويمكن أن نفعل هذا مع

القرآن كله.

أحد العلماء من المعاصرين هو الشيخ طه جابر العلواني ـ رحمه الله ـ شكل مدرسة في هذا الباب، جلس يتدبر القرآن الكريم سنين طويلة جداً.

قال: إن القرآن الكريم يتمركز حول ثلاثة أفكار أو ثلاث موضوعات مركزية وهي اللي يدور حولها القرآن الكريم كله.

ماهي هذه الثلاث كلمات؟ قال: التوحيد والتزكية والعمران.

- التوحيد: فالتوحيد واضح، وآيات وسورالقرآن الكريم فيه واضحة.
- التزكية: أيضاً واضحة؛ تزكية وتطهير القلب والنفس، وكل أركان الإسلام هدفها التزكية، وأعظم العبادات الموصلة للتزكية هي عبادة الصيام.
- العمران: وهو موضوع سورة البقرة التي نريد أن نتأملها الآن، والعمران معناه بالتعبير القديم : الاستخلاف.

مفتاح سورة البقرة ما هو؟

هو قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ﴾[البقرة: 30].

الاستخلاف والعمران هو موضوع سورة البقرة، أحد الموضوعات الكلية الرئيسية في القرآن الكريم كله؛ فكيف للمسلم الذي خلقه الله سبحانه وتعالى

ليعبده أن يحقق الاستخلاف وتعمير الأرض بمنهج الله؟

هذا السؤال الذي تجيب عليه سورة البقرة.

فما العلاقة بين سورة الفاتحة وسورة البقرة؟

قالوا: سورة الفاتحة افتتح الله سبحانه وتعالى بها القرآن، وفيها سؤال، وجواب هذا السؤال في أي سورة؟ في سورة البقرة:

قال تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾

هذا سؤال: أين هذا الصراط المستقيم؟ أين هذا المنهج الذي ندعو الله سبحانه وتعالى أن ينعم علينا وأن يهدينا إليه؟

الجواب يأتي في أي سورة؟ سورة البقرة، المنهج كله في سورة البقرة.

نماذج الاستخلاف في سورة البقرة:

من الملاحظ أن سورة البقرة بدأت بالحديث عن أهم صفة من صفات المؤمنين وهي الإيمان بالغيب، وختمت أيضاً بالحديث عن الإيمان بالغيب.

قال تعالى: ﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾هذا حديث إجمالي للسورة.



وفي آخر السورة حديث تفصيلي؛ قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾[البقرة: 285] قالوا سمعنا وأطعنا. من هم الذين قالوا "سمعنا وأطعنا"؟ هم المؤمنون،

وفي نفس السورة ـ سورة البقرة ـ قالوا سمعنا وعصينا. من هم الذين قالوا "سمعنا وعصينا"؟ بنو إسرائيل.

سؤال لماذا لم يسمِّ ربنا تبارك وتعالي السورة "سورة العمران"؟ أو "سورة الاستخلاف" أو "سورة التعمير" (تعمير الأرض)؟ ولماذا سماها "سورة البقرة"؟

لأنه قُدم هنا ثلاثة نماذج للاستخلاف:

1. النموذج الأول: لسيدنا آدم، تجربة تمهيدية للاستخلاف.
2. النموذج الثاني: نموذج بني إسرائيل، الذين أمروا بذبح البقرة فتلكؤوا في ذبحها وقالوا: "سمعنا وعصينا".
3. النموذج الثالث: هو النموذج الذي أتم أمر الله سبحانه وتعالى على النحو الصحيح، وهو سيدنا إبراهيم عليه السلام:

قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: 124]

هذه الثلاث نماذج ساقها الله لنا حتى نتعلم منهم، يريد الله سبحانه وتعالى منا أن نكون كنموذج أبينا إبراهيم عليه السلام.

سؤال آخر لماذا لم يسمِّ السورة "سورة إبراهيم" بما أنه النموذج الناجح؟

أراد ربنا تبارك وتعالي لنا أن يكون النموذج الفاشل المتمثل في بني إسرائيل حاضراً شاخصاً نذكره ونستذكره كلما ذكرنا اسم البقرة، فنحذر أن نكون منه، وننتبه إلى أخطر شيء يمكن أن يؤدي إلى الفشل.

خطورة "سمعنا وعصينا" وعدم الاستسلام لأمر الله

ما هو أخطر شيء يمكن أن يؤدي إلى الفشل في مهمة الاستخلاف؟

هو سمعنا وعصينا مقابل سمعنا وأطعنا.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗ﴾ من الذي يأمركم؟ الله يأمركم أن تذبحوا بقرة فما علي المؤمن أن يفعل ؟ أن يقول: "سمعنا وأطعنا"، انتهى الأمر.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا﴾ [الأحزاب:36]

وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ سُبۡحَٰنَ

ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾[القصص: 68] لا اختيار لك مع أمر الله سبحانه وتعالى.

اليوم هذا التيار الحداثي يطرح هذا الكلام، يقول لك: إن الحائض مثل المريض؟ هل لو صام المريض، يقبل الله صيامه أم لا؟ يقبله أم عليه القضاء مادام قادرا على أن يصوم، ، المرأة رخص الله لها أن تفطر، لكن إذا قدرت أن تصوم تصوم؟ أنا غير مقتنع بهذا الموضوع!

هذا هو الكلام الذي يطرح الآن، وهو نفس الكلام الذي قاله بنو إسرائيل! ثم تحاول أن تقنعه من ناحية، فيدخل لك من ناحية أخري: «ما لونها؟»، «ما هي؟»،

قال تعالى: ﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: 70]. ثم لم يستجيبوا للأمر، فذبحوها وما كادوا يفعلون!

إذاً، أخطر شيء يمكن أن يضر بالعمران أو يضر بمهمة الاستخلاف هو عدم الاستسلام؛ عدم الانقياد لأمر الله سبحانه وتعالى.

لماذا؟ لأنه عندما تناقش في أمر الله سبحانه وتعالى، ماذا فعلت؟ أنت خرجت من مقام العبودية إلى مقام المناظرة!

إذن أنت لم تكن عبدا لله سبحانه وتعالى. إذا كنت عبداً لله سبحانه وتعالى ماذا

تقول؟ ستقول: سمعنا وأطعنا.

لكن لو أنك تناظر ربنا سبحانه وتعالى إذن أنت لم تعد عبدا لله، وهنا تبدأ تناقش وتقول: هذه لماذا؟ وهذا لما؟ وكذا وكذا.

فربنا سبحانه وتعالى سمى سورة البقرة بسورة البقرة، حتى يبقى الدرس المستفاد من الذين فشلوا في مهمة الاستخلاف حاضراً قوياً في أذهاننا، وهو أن نسلِّم لأمر الله سبحانه وتعالى.

دور التزكية في تعمير الأرض:

هناك شيء أخر، عقبة التعقيب على قصة بني إسرائيل ماذا هو؟

قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [البقرة: 74].

رجعنا للتزكية، الهدف الثاني: أنه لا عمران ولا تعمير بغير التزكية، بغير تطهير القلوب وإصلاح النفوس، ولذلك جلس الرسول عليه الصلاة والسلام يطهر القلوب ويصلح النفوس ويثبت الإيمان في قلوب المؤمنين سنوات مكة كلها، وسنوات طويلة أيضاً في المدينة.

ولو أنكم تأملتم في كل التكليفات والأحكام التشريعية التي تكلمت عنها سورة البقرة، ستجدو أنها كانت دائماً تتحدث بقدر ما تحتاج إلى مجاهدة نفس.

كلما احتاج التكليف إلى مجاهدة نفس أعلى، كلما تأخر الأمر به أو النهي عنه.

الزكاة مثلاً؛ الزكاة تحتاج إلى مجاهدة نفس أم لا؟

طبعاً، لأن فيها إخراج للمال، فالرجل الذي يريد أن يخرج الزكاة أو يتصدق، شيطانه ونفسه تبدأ تحدثه: "لماذا تخرج الزكاة؟ أخرج القليل يكفي عنك"

ثم لاخراج الزكاة يبدأ يري المدارس والمذاهب: "أنا عندي قطعة أرض وأنا أضعها في استثمار، هو لا يريد أن يقول التكييف أو التوصيف الذي يقول له فيها الزكاة كل سنة! لماذا؟

لأن النفس دائماً تحب أن تبخل وتبقي المال، ويبحث عن الآراء التي تجعله يدفع أقل ولا يدفع أكثر!

الزكاة فرضت في أي عام؟ سنة 2 هجري. أي بعد البعثة بـ 15 سنة، حتى تهيأت النفوس.

والخمر حرمت بعد البعثة بـ 15 سنة في السنة الثانية (أو الثامنة هجرية على خلاف)، ولذلك لما نقرأ في سورة المائدة: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ

فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [المائدة: 90].

حينها الصحابة قالوا: "انتهينا، انتهينا"، وأراقوا الخمور التي كانت عندهم وكانت معتقة وغالية الثمن جداً في شوارع المدينة! ونحن نقرأها في جملة أو في سطر، لكن كيف حصل هذا؟ كيف يمكن أن ينزع الإنسان من نفسه العشق لشيء ربي عليه ونشأ عليه ولا يتخيل حياة أبداً بدونه؟

كيف؟ بالإيمان والتزكية

التزكية هي التي تجعله برداً وسلاماً؛ انتهينا، ولا أي شيء.

وقد رأيت هذا في أوروبا كثيراً ـ أنتم رأيتم الأخوات ثبتهم الله لما تأتي فتاة تعلن اسلامها وتلبس الحجاب، قارنها مع الفتاة في العالم العربي والإسلامي في بيئة كلها متحجبات ولا تجد أي صعوبة في العمل ولا في الحياة ولا في الشارع ولا أحد يتنمر عليها ولا يؤذيها لحجابها، وبعد سنة تخلع الحجاب وتقول لك: " انها اكتشفت أنها لم تكن مقتنعة بهذا الأمر"!

والحقيقة هي القلب والإيمان؛ هذه الفتاة التي اعتنقت الإسلام اليوم ونطقت بالشهادة الآن ثم تلبس حجابها، تدخل في صراع طويل مع عائلتها ومع المجتمع وقد تفقد عملها، ما الذي يدفعها إلى هذا؟

الإيمان؛ إن الإيمان خالط قلبها في لحظة من اللحظات؛ فالرسول عليه الصلاة والسلام اشتغل على التزكية.

ولهذا تأخر تشريع الحجاب؛ فرض الحجاب في السنة السادسة للهجرة، لماذا؟

لأنه لو نزل فرضه في أول البعثة سيكون صعباً على النساء يتقبلن هذا الفرض وهذا التشريع.

أحدهم يقول: أنت تقول لنا المقاصد والمقاصد الكلية والجزئية، ونحن علينا أن نسأل: ولماذا نصوم؟ وفلسفة الصيام وتعليل الصيام؟ هل يتعارض مع موضوع الاستسلام وأن تلتزم بدون أن تسأل؟

لا يتعارض؛ لأن هناك قاعدة مهمة جداً في موضوع المقاصد، ما هي هذه القاعدة؟

طاعة الله والاستسلام لأمره دون جدال

التزم بالتكليف ثم اسأل؛ لا تؤخر الامتثال أو تعلق على القناعة العقلية فتقول: «لما تقنعني أن الصيام هذا منطقي فنصوم».

قال أحدهم: «أنا صمت واكتشفت أن الصيام هذا مفيد جداً للتخسيس، حمية غذائية ممتازة، فأنا أصوم لكي أخس»، هذه فرصة!

هذا لا يصح؛ صام لماذا؟ صام لهدف دنيوي، لم يصم لله.

صيامك المفروض يكون لله سبحانه وتعالى، ثم تأتي بعد ذلك كل هذه الأمور

الأخرى.

قال تعالي: ﴿قَالَ أَوَ لَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ﴾ [البقرة: 260]. فإذا رأيت الآية يطمئن قلبي.

إذاً، نحن عندما نشرح لك المقاصد ولماذا فرض الله الصيام، ولماذا فرض الله الحجاب، ولماذا حرم الخمر، ولماذا حرم الخنزير، ولماذا ولماذا ولماذا؛ كل هذا ليطمئن قلبك، لكن أنت غير معلق تسليمك وانقيادك على كلام الله تبارك وتعالي، وبالتالي ما لم يكون هناك فارق أنت اقتنعت أو لا؛ فلابد لك من التسليم وتمتثل لأوامر الله أولاً ثم بعد ذلك تسأل.

إذن هذا النموذج الذي أراده الله سبحانه وتعالى بتسمية سورة البقرة باسمه أن يكون حاضراً شاخصاً أمامنا حتى نحذر منه، ونحذر من ماذا؟

وما أخطر شيء فيه؟ أخطر شئ فيه هو التلكؤ في الاستسلام لأمر الله؛ عدم الخضوع والانقياد لأمر الله سبحانه وتعالى بسرعة.

الهداية والمنظومات التشريعية في سورة البقرة:

القرآن الكريم في سورة البقرة تحدث أول شيء عن صفات المؤمنين، ثم عن صفات الكافرين، ثم عن صفات المنافقين:﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ [البقرة: 9].

الحديث عن المؤمنين قصير جداً، أول خمس آيات من سورة البقرة. الحديث عن الكافرين أيضاً مختصر جداًفي آيتين.

لكن الحديث عن المنافقين في ثلاث عشرة آية لماذا؟ لأن هذا هو المربع الصعب؛ المتلون الخطر على المجتمع المسلم الذي سيحقق العمران والاستخلاف وفق منهج الله تبارك وتعالى.

إذاً هذا جزء من أجزاء سورة البقرة: الحديث عن الذين سيمتثلون للتكليف أو سيقومون بمهمة العمران، ثم الحديث عن النماذج الثلاثة التي قامت بالاستخلاف:

1. نموذج لنحذر منه.
2. ونموذج لنقتدي ونتأسى به، وهو نموذج سيدنا إبراهيم.
3. ونموذج إذا تعثرنا في طريق العمارة وتعمير الأرض، يدلنا كيف نصوب وكيف نصحح المسار وننطلق، ما هو النموذج؟ سيدنا آدم عليه السلام.

قال تعالي:﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: 121].

ماذا نفعل إذا عصي الإنسان منا وهو في طريق الاستخلاف هل يتراخى أو يترك؟

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 37] [البقرة: 37].

فعليك أن تتوب وتعود إلى الله سبحانه وتعالى، وتعاود العمل ومهمة التعمير ومهمة الاستخلاف.

وبما أن السورة ترسم لنا منهج تعمير الأرض، فلا بد أن تشتمل على المنظومات الكاملة لهذا التعمير أو لهذا العمران.

ما هي هذه المنظومات؟

سورة البقرة لو تأملتم فيها، ستجدون أنها السورة الوحيدة في القرآن التي اشتملت على كل الأحكام التشريعية.

السورة الوحيدة التي اشتملت على أركان الإسلام:

- التوحيد: في سورة البقرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 21]
- الصلاة: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: 238]
- الصيام: آيات الصيام في سورة البقرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 183]
- الزكاة: ليس فقط الزكاة، بل الزكاة والإنفاق؛ حوالي أربع صفحات كاملة في الحديث عن الإنفاق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾[البقرة: 267]

وهذه الآية من الآيات العظيمة الجليلة، وإليكم استنباط الإمام أبو حنيفة رحمه الله منها، قال: الزكاة واجبة في كل ما يخرج من الأرض.

بقية الفقهاء تكلموا عن الأصناف التي وردت في الأحاديث والنصوص النبوية، ويقولون لا زكاة في البطاطس، لا زكاة في الفاصوليا، لا زكاة في الأشياء التي لم يرد لها ذكر في نصوص السنة النبوية.

ومن الأشياء التي انفرد بها الإمام رحمه الله أنه قال: ما يسمي القصب الفارسي أو البوص هكذا يسموه عندنا في مصر يوجد على المصارف وعلى الترعة، ويستعملوه الناس في السقف؛ قال فيه الزكاة! لماذا؟

لأنه داخل في قوله تعالي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ﴾[البقرة: 267]

- الحج: في سورة البقرة في قوله تعالي: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ﴾ [البقرة: 196]،
- وقوله تعالي: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ﴾ [البقرة: 197]،
- وقوله تعالي: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ﴾ [البقرة: 203]،
- وقوله تعالي: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة: 158]. كل هذا نجده في سورة البقرة.

المنظومة العبادية وأركان الإيمان كلها في سورة البقرة، وأركان الإسلام كلها

في سورة البقرة؛ إذا كنت تريد جواباً على السؤال: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: 6] الذي طرح في أول سورة في القرآن وهي سورة الفاتحة، وتريد جواباً على سؤال التعمير، سؤال العمران، سؤال الاستخلاف: "كيف أقوم بمهمة العبودية لله وتعمير الأرض بمنهج الله سبحانه وتعالى؟"، فلابد لك من الرؤية كلها كاملة، فقال لك كيف تؤمن بالله، كيف تسلم لله؛ أعطاك أركان الإيمان وأعطاك أركان الإسلام.

المنظومات التشريعية المتكاملة في سورة البقرة:

المنظومة العسكرية (القتال والجهاد): أيضاً في سورة البقرة:

- قال تعالي: {﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۖ﴾ [البقرة: 217]
- قال تعالي: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [البقرة: 190]
- وقال تعالي: ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِ﴾ [البقرة: 191].

- المنظومة الجنائية (القصاص والديات والعقوبات):

قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ

إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ [البقرة: 178-179]

منظومة الأسرة:

ورغم أن هناك سورة في القرآن الكريم اسمها "سورة النساء"، وأن منظومة الأسرة كلها يأتي ذكرها في سورة النساء؛ لكن أين جاءت؟ جاءت في سورة البقرة وليس في سورة النساء!

فمنظومة الأسرة، النظام الكامل للأسرة: الزواج في سورة البقرة، الطلاق في سورة البقرة، الإيلاء في سورة البقرة، الخلع في سورة البقرة، الحيض في سورة البقرة، العلاقة الخاصة بين الرجل وزوجته في سورة البقرة، الرضاع في سورة البقرة، الخطبة في سورة البقرة.

ماذا بقي من أحكام الأسرة لم يذكر؟ المنظومة الكاملة للأسرة.

فما معني ذلك؟ هذا له دلالة مهمة جداً؛ الدلالة هي أن الاستخلاف لا يقوم إلا بالأسرة، الأسرة التي يحاول العالم كله الآن الاعتداء عليها.

ولعلكم تذكرون الكلام الذي قلته قبل ذلك: لسان حال من يقود العالم فكرياً اليوم يقول: "لا تتزوجوا، وإن تزوجتم فلا تنجبوا، وإن أنجبتم فلا تكثروا".

الأجيال الجديدة في الشرق وفي الغرب حرب على الفكرة اليوم؛ لا تستسيغ أبداً

أن تنجب ثلاثة أطفال حتى، ثلاثة! وإن أنجبتم فلا تكثروا، وإن أكثرتم فلا تربوا؛ لا تربي على القيم وقم بثورة على كل هذه الأشياء!

فلا استخلاف بغير أسرة.

المنظومة الاقتصادية:

كيف يقوم الاستخلاف والعمران بدون نظام اقتصادي؟ ما هو النظام الاقتصادي؟ هو آيات الربا والدين.

أطول آيات تحدثت عن الربا في القرآن الكريم الحديث عن الربا جاء في سورة البقرة وفي سورة الروم.

قال تعالي: {﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [آل عمران: 130]}

وفي سورة النساء بالإشارة إلى الأمم التي سبقت وأخذهم الربا وقد نهوا عنه. لكن أطول حديث وأخطر وعيد على الربا ورد في أي سورة؟ في سورة البقرة:

قال تعالي: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّ﴾ [البقرة: 275].

هذا التخبط بعض المفسرين قال إنه التخبط في الآخرة لما يري العذاب والوعيد.

لكن التفسير الذي أرجحه أنه تخبط في الدنيا وفي الآخرة، وأن هذا التخبط يشمل الآكل والمؤكل، الغني والفقير الذي يعطي الربا والذي يأخذ الربا.

الذي أخذ الربا متخبط لأنه لا يقدرأن يسدد المبلغ الذي أخذه مع فوائده، فهومتخبط وحيران وتعبان.

والآخر؟ الغني! فالغني هل هو مطمئن؟ كلا هو أيضاً متخبط؛ سوف يأخذ المبلغ بفوائده أم لا...؟

والله العالم الدولي الآن متخبط؛ كيف يعالج الفائدة الآن؟

كيف يعالج التضخم ؟ كل يوم يقول: "ارفع الفائدة!"، الفيدرالي الأمريكي رفع الفائدة ربع نقطة، وبعد فترة يجمع مرة أخري حتي يرفع مرة أخري! يرفع فائدة لكي يحارب التضخم، فيجد التضخم يرتفع أكثر! ثم الأخطر من ذلك إفلاس البنوك؛ كم بنك أفلْس الآن؟ بنوك كبرى! وليس فقط في أمريكا، أيضاً في سويسرا!

والخوف من ماذا؟ الخوف من أحجار الدومينو تبدأ تزيد، فعندما حصلت الأزمة المالية العالمية سنة 2008 بدأت ببنكين ثلاثة، وقالوا :لا لا اطمئنوا والأمور تمام ولا تخافوا، وبعدها عشرات البنوك أفلست!

ولذلك محاربة التضخم بمنع الربا بمنع الفائدة ليس بسبب أننا نقرأ القرآن الآن وفي شهر رمضان، كلا؛ حتى كبار الاقتصاديين الأوروبيين: كينز الإنجليزي

المعروف صاحب النظرية المعروفة يرى أنه لا أمل في تحسن الاقتصاد العالمي إلا إذا أصبحت الفائدة صفر!

موريس أليي الحائز على جائزة نوبل في الاقتصاد في فرنسا- يقول: "العالم لن يتحسن اقتصاده إلا إذا عملنا أمرين اثنين: أولها أن تكون الفائدة صفر، الأمر الثاني أن تكون الضرائب 50% تقريباً"

ما معني هذا؟ يعني الزكاة! مع أن الزكاة مختلفة عن الضريبة؛ توجد فروق هائلة بين الزكاة وبين الضريبة، ودفع الضريبة لا يغني بطبيعة الحال أبداً عن دفع الزكاة.

على كل حال؛ المنظومة الاقتصادية في سورة البقرة بالدعوة إلى الإنفاق وإخراج الزكاة، بالتحذير من بناء النظام الاقتصادي على الفائدة أو على الربا؛ لأن هذا يضر بالفرد، ويضر بالمجتمع، ويضر بالاقتصاد، ويرفع نسب البطالة، ويأتي بسلسلة هائلة من الشرور والمفاسد التي ترتبت على إدخال الربا في الاقتصاد اليوم والتي لم تكن واضحة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وقت التشريع كما اتضحت اليوم! وهذا يجعلنا نوقن أن هذا الكتاب المعجز لا يكون أبداً من تأليف بشر، لابد أن يكون من عند الله تبارك وتعالى؛ لأنه يحدثنا عن أحداث نحن نراها الآن، فمحاربة التضخم يكون بمنع الربا وفرض الزكاة، وفي هذا تفصيل طويل جداً.

إذاً، المنظومات التشريعية التي تتعلق بالأسرة، والتي تتعلق بالأحكام الجنائية،

والتي تتعلق بالأحكام العبادية، والتي تتعلق بالنظام الاقتصادي، والتي تتعلق بكل كل هذه الأحكام جاءت مفصلة في سورة البقرة.

التميز والوسطية والتقوى ركائز الاستخلاف

يبقي عندنا ثلاث نقاط أقولهم باختصار حتى لا أطيل عليكم:

1. التميز والاستقلالية:

حتى يتحقق الاستخلاف على نحو صحيح كما بينت سورة البقرة، لابد من التميز؛ لابد أن تتميز الأمة، ويتميز الفرد المستخلف العبد لله تبارك وتعالى.

ولهذا نقرأ في سورة البقرة الحديث عن تحويل القبلة، وأن الله سبحانه وتعالى اختار لنبيه أن يتحول من التوجه نحو بيت المقدس إلى التوجه نحو البيت الحرام؛ ليحصل الاستقلالية والتميز للمسلم عن الأمم الأخرى وعن أصحاب الأديان الأخرى.

ولذلك عندما نتحدث عن الاندماج وعن العلاقات مع الأديان الأخرى والتقارب، كل هذا مطلوب، بما لا يضر بشخصية المسلم، وهوية المسلم، وتميز المسلم، سواء في الشرق أو في الغرب.

2. الوسطية:

حتى يتحقق الاستخلاف، يتحقق بمنهج الوسط أو بالوسطية. قال تعالي:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: 143].

هذه الوسطية في الأحكام التشريعية التي اشتملت عليها سورة البقرة كلها، لو تأملتم ستجدون أن كل الأحكام التي وردت في سورة البقرة؛ أمتنا التي شرفنا الله سبحانه وتعالى بالانتساب إليها، التي هي ﴿خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 110]، هذه الأمة المشرفة المخرجة التي أخرجها الله سبحانه وتعالى لتقوم بهذا التكليف وبهذا التعمير، هي وسط بين سائر الأمم في كل هذه التكليفات.

3. التقوى:

ما علاقة التقوى بالاستخلاف؟

أي حضارة تريد أن تقوم أو تريد أن تنشأ، لابد وأن تسن قوانين تردع أصحابها؛ لكي يسود النظام العام ويتم في المجتمع، وإلا سنجد الفوضى!

إذا لم تكن هناك عقوبات على تجاوز الإشارة وهي حمراء، وعدم وجود عقوبات على تجاوز السرعة في السير المروري على الطرق، ماذا يحدث لو قالوا من الغد لن يكون هناك عقوبات، لا قيود لا على السرعة ولا على الإشارات، ماذا سيحدث؟ سنري الكثير من الحوادث والفوضى التي ستقع في الشوارع وتعرض أرواح الناس وممتلكاتهم للخطر! فلابد أن يكون عندنا قوانين صارمة.

الله سبحانه وتعالى يقيم العمران والتعمير والاستخلاف بمنهج التقوى.

فما هو منهج التقوى؟ مراقبة الله سبحانه وتعالى في كل شيء.

لو تأملتم في سورة البقرة، سوف تلاحظون أنها أكثر سورة في القرآن ذكر فيها التقوى.

الشيخ محمد الغزالي رحمه الله لما كان يتأمل في هذه السورة ماذا قال؟«لو طلب مني أن اسميها باسم آخر لسميتها سورة التقوى أو سورة الأتقياء».

لماذا؟ قال: لأنه لا يوجد صفحة من صفحاتها لم يذكر فيها التقوى، وكل حكم من الأحكام التشريعية التي أشرنا إليها الآن كلها مربوطة بالتقوى! حتى علاقة الرجل بزوجته مربوطة بالتقوى، حتى الطلاق، الخلع، كل الأحكام التشريعية لها علاقة التقوى فالتقوى موجودة فيها!

حتى الربا! قال تعالي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [البقرة: 278].

بماذا ختمت آيات الربا كلها؟ قال تعالي: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [البقرة: 281].

شيء عجيب جداً! فالتقوى شائعة في سورة البقرة كلها.

ماهي أهمية التقوى في هذه الأحكام التشريعية والالتزام بها؟

ستمنع التحايل؛ ستجعلك بدلاً من أن تراقب القانون وتخاف من الغرامة ، وأن

تصور الكاميرا السائق وهو متجاوز السرعة.

التقوى تقول لك: أنت مراقب من الله سبحانه وتعالى؛ الله يراني!

حتى لو أنك ستكون في أمان من القانون فأنت من الممكن تتحايل وتأكل الربا ولا يراك أحد!

لكن استشعار المراقبة من الله تبارك وتعالي تدرك أن الله تعالى يراك، ستمتنع عن أكل الربا أو إيكاله أو الدخول فيه بأي شكل من الأشكال.

الطلاق مثلاً: والله الذي يحصل في موضوع الطلاق الآن في الشرق وفي الغرب حله هو التقوى! بل لا أبالغ إذا قلت لك إن مشكلة العالم اليوم كله هي مشكلة التقوى؛ فما هي مشكلة التقوى؟

الضمير المراقِب قبل الله سبحانه وتعالى؛ أن يشعر الناس، وأن يشعر المسؤول أن الله تعالى يراه؛ هذا هو معنى التقوى ببساطة شديدة.

ولذلك لو تأملتم في سورة البقرة ستجدو أن آيات الصيام بدأت بالتقوى، وختمت بالتقوى، وقعت في وسط هذه التشريعات.

قال تعالي ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 183]

وقال تعالي: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 187].



وقال تعالي: ﴿وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوۡاْ بَيۡنَهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ ذَٰلِكُمۡ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: 232]

معناه أن:

- الذي يفكر في تطليق زوجته لابد أن يراقب الله سبحانه وتعالى، لابد أن يدرك أن الله سبحانه وتعالى مطلع عليه؛ فالذي يطلق بغير سبب لم يراقب الله.
- المرأة التي تطلب الطلاق في غير ما بأس لم تراقب الله.
- المرأة التي تهدم بيتها وأسرتها ولا تبالي لم تراقب الله سبحانه وتعالى.
- المرأة التي تكيد لزوجها، وتمنع زوجها من رؤية أولاده، وتستقوي بالقانون وتقدم معلومات وكذب كله؛ هل هذه تراقب ربنا سبحانه وتعالى؟! وطبعاً الرجل أسوأ في بغض الأحوال أيضاً.
- المرأة التي تراقب الله هي التي تأتي تستفتيني ـ وحدث هذا بفضل الله أكثر من مرة، مما يعني أن الخير موجود في الأمة وأن الأتقياء موجودون في الأمة ـ تأتي المرأة تقول: "القانون حكم لي بمبلغ كذا، وأعطاني نصف ممتلكات زوجي، هل لي حق فيها ولا ليس لي حق؟"، أقول لها: "ليس لك حق إلا في كذا وكذا"، تذهب ترد له مختارة رغم ما بينها وبينه من

خصومات ونزاعات! ترد له ما لا حق لها فيه.

ما الذي يدفعها لفعل هذا؟ الخوف من الله سبحانه، المراقبة.

وهو أهم شيء يفعله الصيام أيضاً. ما الذي يحدثه الصيام فينا؟

الصيام يحدث فينا الخشية لله سبحانه وتعالى؛ أنت ممكن أن تذهب لتأكل في البيت وتخرج وتقول: "والله اليوم كان شاق جداً، وأنك عطشان طوال اليوم ومجهد من الصيام "، والناس تصدقك.

من الذي اطلع عليك ويعلم أنك تكذب وأنك مفطر؟ الله سبحانه وتعالى.

العبادة الوحيدة في أركان الإسلام التي نسبها الله تعالى إلى نفسه هي الصيام:حديث: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ» [رواه البخاري ومسلم].

وهل العبادات الأخرى ليست لله؟ بلى، لكن على نية يراها الناس، إنما الصيام خفي لا يراه الناس.

لذلك إن لم نتعلم من الصيام الخشية والمراقبة لله سبحانه وتعالى، فوتنا أعظم وأهم درس من الصيام.

منهج القراءة الموضوعية لكل سور القرآن:

بقيت إشارة أخيرة ـ وطبعاً الحديث فيها طويل، أنا أردت فقط أن أرسم صورة هيكلية متكاملة، وأن يكون هذا منهج لنا في التعامل مع كل سور القرآن الكريم ـ إذا أردنا أن نقدم القرآن الكريم للأوروبيين، نقدمه بهذه الطريقة:

أن تأتي لكل سورة وتقول: "ما مفتاح هذه السورة؟"

أقول لك: كلمة كذا، ومربوطة باسم السورة.

وتقول لي: " ما علاقة الآيات ببعضها؟ كيف أربطها بهذا الموضوع؟"، أقول لك: ترتبط بهذه الطريقة، وتبدأ تربط كل آيات السورة بالفكرة والموضوع، يبقى القرآن حاضر في ذهنك بمفاتيحه.

على سبيل المثال: هناك ثلاث مفاتيح للقرآن كله، الثلاث كلمات اللي قلنا ما هم، وفي مفتاح لكل آية ولكل سورة.

قصة طالوت وجالوت ومفهوم مغالبة الشهوات:

ما علاقة قصة طالوت وجالوت بقوله تعالي: ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ﴾ [البقرة: 249] وموضوع الاستخلاف وسورة البقرة؟ ما هي العلاقة؟

في تفسير أحد العلماء فكرة أن {إن الله مبتليكم بنهر} [البقرة: 249]؛ معناه أننا سوف نُستخلف، استخلفنا الله سبحانه وتعالى حتى نعمر. فكيف نعمر الأرض بمنهج الله سبحانه وتعالى وهناك ابتلاءات وشهوات وهناك أشياء سوف تبتلوا

بها في هذه الحياة؟

قوله تعالي:﴿فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ﴾

من هؤلاء القلة؟ هم من تقوم عليهم الحضارات، أو يقودون التغيير والإصلاح.

أحد العلماء يقول: "هذه الآية تلخص الحياة الدنيا؛ "نحن في هذه الحياة الدنيا نقاوم ما نحب، ونتحمل ما نكره".

مبتليكم بنهر؛ نريد أن نشرب، محتاجين الماء، كلا: {فمن شرب منه فليس مني}.

فنحن في الحياة الدنيا نقاوم ما نحب ونتحمل ما نكره؛ لم؟ حتي نحقق الاستخلاف، ونمتثل لأمر الله سبحانه وتعالى، ونقول: "سمعنا وأطعنا".

مثال نحن الآن صائمين مقاومين ما نحب أم لا؟ طبعاً!

عندما ترى كأس الماء مثلج وجميل، وأنت في قمة العطش نفسك تتوق إليه، ومازال هناك ثلاث ساعات، ابحثوا لنا عن أي فتوى تقصر لنا النهار لأننا تعبنا من الصيام!

تقاوم ما تحب ونتحمل ما تكره؛ لماذا؟

حديث «لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ» [رواه البخاري ومسلم].

وحتى نفوز بالدخول من باب الريان، والانتصار على النفس.

وحتى ننجح في مهمة الاستخلاف، لابد أن نقاوم ما نحب ونتحمل ما نكره، وهو ما تغرسه وتحققه لنا وفينا عبادة وفريضة الصيام.

الخاتمة:

هذه نظرة وقراءة عاجلة جداً لأطول سورة في القرآن- إذا كان أطول سورة في القرآن استطعنا أن نفهمها كلها سريعا في ضوء كلمة، فسوف نستطيع عمل ذلك في كل السور الأخرى.

وكما قلنا إن هناك علاقة بين سورة الفاتحة وسورة البقرة، وهناك علاقة بين أول سورة البقرة وآخر سورة البقرة؛ كذلك نستطيع أن نربط بين آخر سورة البقرة بأول سورة آل عمران، وهكذا في سورة آل عمران مع النساء، وهكذا بقية سور القرآن الكريم.

وفي تقديري أن هذا المنهج أفضل لتقديم القرآن لأولادنا الذين لا يتقنون اللغة العربية، وللألمان والأوروبيين الذين لا يتقنون اللغة العربية، على الأقل نجمع به بين المنهجين: منهج الترجمة (التى هي ترجمة الآيات ومعانيها أو الكلمات ومعانيها)، وبين النظرية الكلية الشاملة للسورة مثل ما فعلنا.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، غفر الله لي ولكم.

ملحوظة مهمة: هذه المحاضرة تم تفريغها وتنسيقها للفائدة العلمية من فريق الموقع، وليست بطريقة التصنيف أو التأليف العلمي.